# الحجاج في رواية (مولانا ) لإبراهيم عيسى

د فوزية لعيوس الجابري

كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة المثنى

**المقدمة**

لم يعد الفن الروائي فناً يستدعي القارىء للمتعة والإثارة بما يتضمنه من مخيال وجمال تصويري ولغة شعرية ، فيشعر معها بالإنسحاب من عالمه إلى عالم خيالي بنسبة لبعض الوقت همومه ومشاكله المحيطة ،ولم تعد الرواية مجرد حكاية تعيشها شخصيات في صراع أزلي مع قوى مختلفة ومتناقضة ويظل القارىء حابساً أنفاسه طوال صفحات الرواية ؛ لمعرفة مصير الشخصيات ، فالرواية فاليوم هي خطاب ثقافي يستدعي التفكير في المجالات الحياتية المختلفة السياسية والاجتماعية والدينية للعقل الجمعي ،ولاينوي الكاتب من عرض خطابه الثقافي هذا إلا إلفات نظر المتلقي إلى مايجري حوله ، دون الخوض في مغامرة وضع الحلول لما يحدث،لأن ذلك سيؤدي إلى نتائج غير محمودة من القارىء.

فالرواية اليوم تطرح أسئلة ولاتجيب عنها ،وتقدم إشكاليات لاتفك خيوطها ،وقد تشوش رؤى يراها القارىء ثابتة وفارة فتنتج قارئاً قلقا يحفزه على القبول او الرفض. ولايعني هذا إنزياح الرواية عن مفهومها الإجناسي فتظل الرواية فناً جماليا بالدرجة الاولى.

تثير رواية ( مولانا) لإبراهيم عيسى كثيراً من القضايا والاشكاليات والاسئلة المسكوت عنها ،مما يجعلها خطاباً شائكاً ليس من السهل القول إننا نتفق او نختلف مع مضمونه إذ تستفز القارىء لإعادة النظر بمرجعياته الدينية والتاريخية والسياسية، وقد تحرك ثوابتاً لديه وتثبت أخرى قلقة .

رواية (مولانا) تضع القارىء وجهاً لوجه مع صراعات حياتية لطالما يشعر أنها جز منه ومن ثقافته وتكوينه الفكري والاجتماعي ؛ يكتشف متأخراً أنه مجرد بيدق في لعبة كبيرة يزجه بها آخرون ليصبح طرفاً في صراع وهمي دينياً كان او سياسياً.

ولايتوانى إبراهيم عيسى من الخوض في كل مفاصل حياتنا يقلب أموراً ويعبث بأخرى وكأنه يفتش وسط فوضى نفوسنا ليصل إلى حقيقتنا التي أبتعدنا عنها او أبعدنا عنها عنوة إيماناً او خوفاً او جهلاً .

(مولانا) " عمل أدبي متجه الى الخارج لا إلى ذاته بل إلى السامع – القارىء – يحدس على نحو ما ردود فعله المحتملة" . وهو عمل يتماس بشكل مباشر مع ابراز النقاط المركزية الحياتية للمتلقي التاريخ ، الدين ، السياسة . فنحن نخضع لتاريخ كتبه أخرون ، ومهما ننأى بأنفسنا عن السياسة ، فإنها تسحبنا إليها مالم نؤيدها أبداً ، ويظل الدين لعبة السلطة المفضلة ، لإختلاق صراعات مختلفة ؛تأخذ أبعاداً متنوعة متمثلة بصراع ( إسلامي – مسيحي) وتارة صراع مذهبي ( سني – شيعي) وتارة اخرى صراع اتجاهات داخل المذهب الواحد ( أصولي – مجدد).

تحثنا رواية ( مولانا) على مواجهة حجم الزيف الذي يلف حياتنا وسط هذه الصراعات بغية عزل الأنا عن الآخر بحجة ألافضلية والتفوق عليه ،وإن الله أوصى بتميز فئة عن سواها.

دوامة فكرية أشتغلها مزيفو التاريخ وزاد عليها المستفيدون من الواقع وضحيتها الوحيدة هو أنت – المتلقي – هذا ماتشتغل عليه تفصيلات رواية (مولانا) المختلفة ، وكأنها تحث القارىء على اتخاذ موقف من كل مايحدث حوله.

أخذت الاشكاليات المطروحة في الخطاب السردي شكلاً حوارياً حجاجياً ،أعتمد في صورته الحجاجية على طرفي الحجاج : الراوي والمروي له. وكإن ذاك محفزاً للبحث للتقرب من هذا الحوار الحجاجي ،ودراسة الحجاج وإجراءاته ومقايسه المعروفة في النقد بتتبع حوارات الشخصية الرئيسة في النص (الشيخ حاتم) التي مثلت محور الرواية ومحاورها الأبرز.

تنوعت الاليات الاجرائية للحجاج لدى (الشيخ حاتم) تبعاً للموضوع الذي يدور حوله السجال ، وكان " تضمين الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وأبيات الشعر والامثال والحكم ، (حججا) جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها " ، فضلاً عن السخرية التي أعتمدت بوصفها أجراء مهماً من أجراءات الحجاج المختلفة .

**الحجاج (أهميته وأصوله)**

تختلف مفاهيم الحجاج وفقاً للرؤية التي تتناوله الدراسات منها .وأنطلاقاً من الثقافة الغربية التي جهدت في ممارسة الحجاج بوصفه نظرية ،من الممكن رصد أتجاهين مهمين في الدرس الحجاجي وهما لساني تداولي ،والثاني يعده بلاغة جديدة. ويمثل كتاب (الحجاج في اللغة) لديكرو بالاشتراك مع كلودا نسكمير دراسة للحجاج من جانب ألسني صادر عن مبدأ تداولي ، ويرى ديكرو إن الحجاج يقوم على اللغة وإن وظيفة اللغة لاتنحصر

على الابلاغ وحسب " بل ان الوظيفة الحجاجية هي أهم وظائفها"[١] . وأن هذه الوظيفة تتجلى في الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية والتداولية . وهكذا أنصب أهتمام ديكرو على الوظائف التداولية للخطاب الحجاجي ،تتمكن من تثبيت مبدأ تداولي " فحواه ان البعد الحجاجي سابق عن البعد الاخباري في الكلام "[٢] . ويجعله ذلك مختلفاً عن بيرلمان وتتيكا في نظرتهما للحجاج ، وقد وضعا عنواناً جانبياً بكتابهما ( المصنف في اللغة) وهو البلاغة الجديدة ١٩٨٥م.

فشكل الحجاج لدى بيرلمان مرحلة جديدة لدراسة الخطاب وتقنياته ، وإنه قائم على الجدل والتفاعل بين الخطيب من جهة والجمهور من جهة اخرى . وعمد بيرلمان إلى تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال والجدل ،وقد تميز عنده الحجاج بعدة ملامح منها

١- ان يتوجه الى مستمع

٢- يعبر عن الحجاج بلغة طبيعية

٣- مسلماته لاتعد وان تكون أحتمالية

٤- لايفتقر تنامي الحجاج إلى ضرورة منطقية

٥- ليست نتائجه ملزمة[٣]

أنقسمت الدراسات الحجاجية في النقد العربي ،تبعاً لما وصلنا من الثقافات الغربية ، فمثل ديكرو وبيرلمان قطبان مهمان في البحث الحجاجي العربي وكان لكل منها إتباعه ومؤيديه ليشكل بذلك أتجاهين رسما تطور الحجاج في الثقافة العربية ،منذ أكثر من ثلاثين سنة . علماً إن اكثر هذه الدراسات كانت أنطلاقتها الاولى من المغرب العربي ، الذي أنشغل أبرز نقاده في دراسات تعريفية للحجاج بغية تقديمه للقاريء العربي ، وأختلفت طبيعة هذه الدراسات الحجاجية ؛ فهي إما إلسنية التداولية تبعاً لديكرو أو بلاغية جديدة وفقا لبيرلمان . ومن أهم هذه الدراسات [٤] كتاب (اللغة والحجاج) ٢٠٠٦ لأبي بكر العزاوي وله ايضا دراسة ( إلخطاب والحجاج) ٢٠٠٧ .

ويوضح رؤيته في مقدمة كتابه الاول قائلاً :" تبنينا نظرية ( الحجاج في اللغة) ... التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفا لديكرو...وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها: انت تتكلم عامة بقصد التأثير ، وهي تحاول ان تبين ان اللغة تحمل ، بصفة ذاتية وجوهرية ، وظيفة حجاجية"[٥] . كما أنه يرى في نظرية

ديكرو " نظرية دلالية حديثة تقدم تصوراً جديداً للمعنى ... وتقدم ايضا أفكاراً ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر الحديثة"[٦] . وقت تبنت دراسات آخرى رؤية بيرلمان للحجاج ومنها دراسة مهمة لعبدالله صولة بعنوان (الحجاج ، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج) ويظهر العنوان تبني الناقد العربي لرؤية بيرلمان . وهو ماكان في دراساته الاخرى أيضا ( في نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات)٢٠١١م. وهو عبارة عن مقالات كتبها الكاتب وجمعت في كتاب نشرت بعد وفاته . وقد شرح فيها عبدالله صولة رؤية بيرلمان وتيتكا للحجاج ، ويتحدى صعوبة فهم هذه الرؤية،التي " أقر بها علم من اعلام الحجاج ...وهو كرستيان بلونتين"[٧] ،ويتناول صولة كتاب (المصنف في الحجاج) الذي يصل إلى مايزيد عن ٦٧٣ صفحة شارحاً وموضحاً أقسامه الثلاثة التي قال بها الناقدان: أطر الحجاج ، ومنطلقات الحجاج ، وتقنيات الحجاج. في ١٩٦ صفحة من مجموع صفحات كتابه . ويرى عبدالله صولة ان ماشغل الناقدان هو " إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين سليل الخطابة والجدل معاً ، من دائرة الخطابة والجدل ... فالباحثان .. عملا من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة"[٨] .

حاول بعض الدارسين العرب العودة بالحجاج إلى التراث العربي ، والتأكيد على وجود مدرسة حجاجية في النقد القديم تمثلت في المناظرات التي عنيت بالبلاغة العربية الحاضنة للحجاج . فالبيان عند الجاحظ هو الكشف والافصاح ، وكذلك عني السكاكي في ( مفتاح العلوم) في تناول فروع البلاغة كالاستعارة والتشبيه؛ كونها الحجة والدليل لأقناع الذي هو غاية البلاغة . وجسد هذا الاستناد على حجاجية البلاغة العربية الكلاسيكية أتجاهاً ثالثاً في دراسة الحجاج ، ويعد كتاب (في بلاغة الخطاب الاقناعي١٩٨٦م) لمحمد العمري من أوائل من مثل هذا الاتجاه ، وحرص العمري على إثبات إن الصور البيانية البلاغية انما " تقوم مقام الحجة وتعوضها تبعا لحال المخاطب "[٩] . والملاحظ ان العمري درس الحجاج في الخطابة العربية إعتماداً على الفلسفة اليونانية ، وتحديداً اعتماداً على أرسطو في تناوله للحجج في الخطابة التي يضمنها الخطيب في خطبته ،بقصد التأثير في السامع وإقناعه.

مفاهيم الحجاج وتقنياته:

الحجاج لغة من الفعل (حجّ) وتعني البرهان والدليل ، وقد ورد فعل حجّ في القرآن الكريم لغير مرة ومنه ( وحاج إبراهيم في قومه) . والحجاج عند أبي بكر العزاوي " فعالية تداولية خطابية من الحجج التي تخدم نتيجة معينة ، وهو ايضا منطق اللغة والاستدلال المرتبط باللغات الطبيعية"[١٠] ، ويعرف جميل صليبا في المعجم

الفلسفي الحجاج على أنه " حملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، او هو طريقة الحجج والاستفادة منها "[١١]

والحجاج هو ان يتخذ المتكلم تقانات خاصة في الخطاب بغية إقناع المتلقي ، وحملة على قبول قوله ، أدلة وبراهين ، وتختلف طبيعة الخطاب أستناداً لطبيعة الادلة التي يتضمنها فمنها ماهو برهاني أستدلالي أقرب الى المنطق كقولنا :

كل اللغو بين علماء

زيد لغوي

اذن زيد عالم .

وهذا الخطاب حتمي ، لامجال للأستنتاج الشخصي فيه ، كونه يعتمد على علة منطقية ،واقواله مستقلة عن بعضها ، فكل قول هو وصف لحالة ما ، كما أنه خطاب يعتمد التراتيبية وفقا لما يتضمنه من قضايا

اما قولنا :

انخفض ميزان الحرارة

اذن سينزل المطر

فهذا خطاب حجاجي استنتاجي غير برهاني ، وأقواله الحجاجية هي اقوال لغوية . وتتسم الحجج اللغوية بسمات مختلفة منها :

١- انها سباقية فكل عنصر دلالي يؤدي إلى اخر ، والسياق يجعل منه حجة ، ويمنحه طبيعة حجاجية

الجو جميل لنخرج في نزهة .

٢- تختلف طبيعة هذه الحجج من ناحية قوتها وضعفها ،فهي نسبيه

٣- بما أنها ليست حجج منطقية رياضية ؛ لذا من السهل رفضها وإبطالها[١٢]

وبالعودة إلى إرسطو الذي تستمد منه كل دراسات الحجاج الحديثة مفاهيمها ، يرى ان الحجج "فينبغي ان تكون برهانية " وقد تناول بايجاز الحديث عن الادلة والتصديقات التي تتضمنها الخطابة ، وتحديداً الخطابة التشاجرية ( النزاع امام المحاكم).

ويقسمها إلى نوعين :

غير صناعية وصناعية . ويقصد بالاولى " تلك التي لم نأت نحن بها ، بل كانت موجودة من قبل "[١٣]

وعددها خمسة : القوانين والشهود ، والعقود ،والعذاب[١٤] ، والايمان[١٥]

إما الثانية (الصناعية) فهي " كل مايمكن أعداده بالحيلة وبمجهودنا ... فيجب علينا أكتشافها بأنفسنا"[١٦] .

**المغالطة في الحوار**

الكلام المغالط هو في الاصل كلام مخادع ،فلا يسلك المتحدث سلوكاً سوياً في حواره مع خصمه ،اذ يعمد الى التمويه والخديعة والتضليل واللبس. وإلى جانب كل هذا يتقصد المغالط إفساد المعنى القولي لخصمه؛ ويعمد الى التركيز على الجانب العاطفي للموضوع على حساب الفكرة والحقيقة.

والمغالطة كما عرفها ارسطو " أستدلالا صحيحاً في الظاهر معتلاً في الحقيقة"[١٧] وهي نوع من أنواع " العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلم وتكون منطوية على فساد في المضمون او الصورة بقصد او بدونه"[١٨]

وتعود المغالطة الى الفكر السفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد فالمغالطة هي السفسطة وتعني الرجل الحكيم . وقد رفض ارسطو أسلوبهم في الحوار ، كونهم يهدفون إلى كل شيء سوى الحقيقة ، بأعتمادهم البلاغة والعاطفة والطعن بالآخر ،وأشغل نفسه بتتبع مغالطاتهم اللغوية وحددها في ستة هي : الغموض والاشتباه والترتيب المبهم للكلمات والقسمة المبهمة للكلمات ،والشكل الخاطيء وصورة التعبير المستخدم [١٩] .

وقد اورد ارسطو في كتابية المواضيع والنكبات على السفسطائيين بأن حجاجهم يسعى الى تضليل السامع وخداعه[٢٠]

يتبع المغالطون في حجاجهم اساليب وحيلاً ، من غير منطقية وعقلية ، " فأن سياسياً تسلح بالقدرة الخطابية وحيل الاقناع كفيل بان يهزم اي مهندس او عسكري حتى لو كان موضوع الجدال هو من تخصص هذين الاخرين وليكن وليكن نشييد الحصون او الثغور"[٢١] .

يستند المغالطون في أسلوبهم الحواري علر استمالة عواطف الجمهور ، والميل بالحوار باتجاه رغباته العاطفية ، في محاولة للتأثير عليه بغية القبول بالفكرة عاطفياً، وإن كانت تتنافى مع العقل والمنطق ، ويتجسد الحوار المغالطي " في كلام الدعاة والمذهبيين والحزبيين"[٢٢] . كما " يكثر تداوله في البرامج الحوارية الاذاعية او التلفزيونية التي أصبحت معلماً من معالم الانتاج المعاصر"[٢٣] .وهكذا يتوجب على كل من يخوض حواراً حجاجياً ، او يدخل في مناظرة عليه ان يعرف حيل الخداع لينأى بنفسه عن مغالطات الخصم ، التي يمكن ان تقوده إلى طريق مسدود في الحوار . ويمكن لحجب الحقيقة ، أو إخفاء " شيء من الادلة التي تدعم قول المخالف"[٢٤] ،ان تؤدي الى نتائج خاطئة في الحوار وللحوار مقومات تسهم في بنائه وتجاهه منها :

١- التحلي بالخلق الحسن والاقرار بالحق

٢- ان يكون المحاور أهلاً للحوار وقادراً عليه وعارفاً بما يحيط به لخلق تفاعل بين الطرفين

٣- الاتفاق بين الطرفين على متطلبات الحوار وقضاياه للوصول الى الحل [٢٥]

وبخلاف هذه المقومات يتحول الحوار الى مغالطي

ويحدد محمد الداحي عدة أساليب يتخذها المغالطون في حجاجهم ، يسلكها المحاجج من اجل أضعاف الخصم وتعطيل قواه النكرية والذهنية وهي:

١- استغلال مواطن الضعف العاطفي عند المتلقي للتأثير عليه والاستحواذ على قلبه

٢- التلاعب بالالفاظ

٣- المغالاة في الوصف

٤- اعتماد بعض الحقائقبغية استمالة المتلقي

ويذهب أحد الباحثين إلى ان المغالط قد يعتمد الاستفهام في حواره الحجاجي في محاولة لـ" تفتيت التفكير والدفاع عند الخصم"[٢٦] .ويرى آخر ان " الالتباس بمختلف تجلياته أهم مايمكن أستثماره في سياق التغليط"[٢٧]

يعتمد المغالط مجموع هذه الاساليب وغيرها في الحجاج، ؛بهدف توريط الخصم، وتعطيل قواه الفكرية في الرد[٢٨] ،لاسيما اذا لم يكن متسلحاً بأدوات المعرفة ؛ بتملص مثل هذا الحوار ، فيقع في فخ الالتباس والتضليل والتعميم الذي دفعه اليه المغالط.

كما يتخذ المحاور المغالط الكذب والادعاء والتلفيق أستتراجية أساسية في حواره، وهكذا يحييد هذا النوع من الحجاج عن هدفه الاصل وهو الاقناع ، او على الاقل أخضاع الخصم للقبول بالفكرة المحاجج عليها . لأن المغالط يسعى إلى فرض أراءه فرضاً على الآخر، إلى جانب محاولته تسقيط خصمه،ورفض أفكاره مجملة، ولايسمح لنفسه بالوقوف عندها وتأملها ، بل ينكر كل مايقال ، بحجة فساد هذه الاقوال ،وبذا يصل الحوار إلى نقطة مسدودة ، وتتفت كل طرق الاتصال بين المتحاورين ، في حين ميزة الحوار الحجاجي هو إقامة تواصل بين الاطراف المتحاورة.

وإلى جانب الاساليب التي يسلكها المحاور المغالط في حواره، فهو يركز على الجمهور بوصفه طرفاً ثالثاً في الحجاج ، والجمهور " دائماً أدنى مرتبة من الانسان الفرد فيما يخص الناحية العقلية الفكرية ، ولكن من وجهة نظر العواطف والاعمال التي تثيرها هذة العواطف فإنه يمكن لهذا الجمهور يسير نحو الافضل او نحو الاسوأ ، وكل شيء يعتمد على الطريقة التي يتم تحريضه او تحريكه بها "[٢٩].

والجمهور برأي جوستاف لوبون " غير مؤهل للمحاكمة العقلية "[٣٠] ، لأن الجانب العاطفي أكثر تأثيراُ فيه ، وهو مايمارسه المغالط في حجاجه مع خصمه لكسب عطف الجمهور.

وفي العودة الى الرواية فأن المغالطات الحجاجية قد تجسدت في مواضع كثيرة من النص السردي ، أذا لم نقل إن الرواية برمتها كانت مغالطة حجاجية كبيرة ، فالشاب (حسن) الذي أدعى التنصر والارتداد عن الدين الاسلامي ، وصار يثير الاباطيل في هذا الدين ، وفي النهاية كان كل ذلك تمويها ، وأسلوباً مغالطا أراد به الشاب ان يغطي على جريمته ، بأنتمائه الى مجموعة أرهابية متشددة .

ومن بين المغالطات التي تبدو واضحة ومؤثرة ، مشهد حواري بين الشيخ حامد ومقدم برنامج تلفازي ، في لقاء مباشر أمام الجمهور المتابع.

يتبع مقدم البرنامج (انور عثمان)في حواره مع الشيخ أسلوباً مغالطياً فهو أولاً يبدأ بمقدمة غنائية " عدوانية تستحث الجمهور لقتل الشيعة وإباحة دم الشيخ مختار حين يرونه تقرباً لله وزلفى لرحمته". ينوي انور عثمان بمقدمته تحريض الجمهور وخداعه ،وإستغلال مواطن الضعف العاطفي لديه ، مما زاد من شعور الشيخ حاتم

بالخناق وسحبه إلى فتح حوار لايريده ؛يتعلق بالشيعة والشيخ مختار الحسيني ، فعمق ذلك من شعوره بحجم الورطة التي زجه اليها انور عثمان ، لاسيما وانه لم يكن على علم بموضوع حلقة البرنامج.

أتبع انور عثمان عدة أساليب مغالطية ، هدف منها تضليل الجمهور وخداعه ، وكان أهمها : إستغلال مواطن الضعف العاطفي لدى المتلقين للبرنامج والتأثير عليهم من خلال التركيز على موضوعة الشيعة ، لاسيما وإن الاعلام قبلاً قد عبأ الجماهير لهذه القضية ، بعد تداولها وبشكل هستيري ؛تعقيباً على حادثة مختار الحسيني الذي قبضت عليه السلطة وأتهمته بالعمل لصالح تنظيم إيراني ؛ يهدف إلى نشر التشيع في مصر . وكانت السلطة قد عبأت الجماهير ضد المختار الحسيني من خلال تناول الموضوع في وسائل أعلام متعددة ،وعلى محطات تلفازية مختلفة.

الشيخ حاتم هو الصديق المقرب من مختار الحسيني ، وكان هذا الاخير قد أتمنه على حقيقة ماحدث بينه وبين السلطة المتجسدة بأبن رئيس الجمهورية ، وكان الشيخ حاتم يدرك كل مايحاك حول مختار الحسيني ، ويعرف إن الموضوع برمته لم يكن سوى لعبة للأنتقام من الشيخ الحسيني ، فالسلطة قادت مؤامرة بأدوات الاعلام،لتعبئة الجماهير ضده ، وهكذا عمد المقدم انور عثمان إلى وضع الشيخ حاتم بهذا الموقف ، ليكون بين أمرين : فأما ان يساير السلطة ومايقوله الاعلام ضد الشيعة عامة والحسيني خاصة أو يتحدث عن مايميله عليه ضميره والتاريخ فيتحدث بأنصاف وحيادية.

يوجه مقدم البرنامج الخطاب بالوجهة التي تريدها السلطة التي جندته لهذه المهمة ، على الرغم من محاولة الشيخ حاتم التفلت من الخوض بموضوع حلقة البرنامج ، إلا ان المقدم كان قد أحكم سيطرته ، واجبره على الخوض في موضوع لم يكن يريد التورط فيه . أتبع مقدم البرنامج أسلوباً مغالطياً فكان يقول حقائقا يريد بها باطلاً ن لانه يتلاعب بالالفاظ ، ومن ذلك قوله: ان على الشيخ " ان يوضح الحلال والحرام، وان يردع الرادع ، وان يوجه الانحراف بدين الله والتحريف في القرأن والسنة " .

وهو سؤال هدف منه الزج بالشيخ حاتم الى زاوية ضيقة حتى لايجد منفذاً للخروج ويكون في " حالة حرجة مراهنة على إلا يتخلص منها" ، كما عمد المقدم أيضاً إلى إثارة موضوعات تثير الجمهور المتابع وتستفزه مثل قوله :" أنهم يسبون أبا بكر وعمر والسيدة عائشة "

لم يسمح انور عثمان لخصمه ببناء مقدمات حوارية صالحة للأستدلال ، فعندما كان خطاب الشيخ حاتم يتضمن حقائق تاريخية وواقعية حول الشيعة ، كان رد المقدم " أنت تدافع عن الشيعة" . ويتضمن ذلك نسقاً ضمنياً يريد به جعل الشيخ حامد محسوباً على الشيعة ، فيُصعد من حدة مناهضة الجماهير ضده،فلا تقبل بما

يقول . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هو يتقصد استفزازه وإثارة حفيظة الشيخ حاتم فيسحبه للوقوع في الخطأ ،مما يجعله هدفاً سهلاً للسلطة . فيقول متهماً إياه " أنك تقلل من خطر التشيع" . ويسأل عن مايسميه بمصحف الشيعة بأنه مصحف سري " يقال له مصحف فاطمة" .يتقصد انور عثمان إساة فهم كلام الشيخ حامد، وتحريف أقواله ، وهذا من أخطر الاساليب التي يتبعها المغالطون في الحجاج ، كما أنه ينسب له " قضايا يوهم أنها من لوازم مذهبه ، مع أنه لايقول بها ، بل ...ينكرها"[٣١] .

أدرك الشيخ حاتم ان مقدم البرنامج يتقصد إساة فهم أقواله ، وانه يعمد البت التعميم الفاسد ، ليوقعه في الخطأ ، لهذا احاول ان يفند ماذهب اليه، معتمداً في ردوده على خبرته الطويلة في الحوار وإدارته ، وكذلك ثقافته في فهم اساليب اللبس والتدليس؛ للنفاد من هكذا مواقف ، وكان من أولوياته " تحويل الجمهور من حالة نفسية إلى أخرى على النحو الذي يخدم القضية التي يدافع عنها "[٣٢] . فأتبع الشيخ حاتم أستراجية مضادة مقابل أستراجية المقدم الذي يحاول تغليط خطابه .ومن ذلك :

١- على العكس من المقدمة العدوانية والتحريضية ، والتي تدعو الجماهير للقتل وسفك دم الشيعة ، تلك المقدمة التي أبتدأ بها البرنامج . جاءت مقدمة الشيخ حاتم مبنية على الاستدلال المنطقي نابعة من روح الدين الاسلامي ، وكأنه يخاطب الجماهير الثائرة ويذكرهم بجوهر الاسلام القائم على أن " نوحد لانفرق ، تجمع لا ان تشتت، ان تجبر لا ان نكسر ، إن نقوم لاإن نقيم ، ان ننصح لا إن نهجم ، ان نهدي لا ان نهدد" . كما حاول الشيخ ان يشيع جو الألفة والمودة والاحترام في مخاطبة مقدم البرنامج وهدف إن يبقي الحوار ضمن هذا المناخ بعيداً عن التشنج والكره والبغض.

٢- بعد ان صار واضحاً للشيخ حاتم عدائية مقدم البرنامج ضده ، واكتشف إلى أين ستمضي الحلقة " حلقة برنامج ام حلقة على العنق" تغير أثراً لذلك أسلوبه في مخاطبته ،فتحول الى الاستهزاء والسخرية كقوله:" شوف يأنور ...هل تحفظ الحديث ...ام أنت ساقط أبتدائية ...نقول الحديث شكلك وحش". أذا كانت المناداة بالاسم الشخصي بلا ألقاب " هو أكثر الادوات اللغوية على العلم تجسيداً للأستراتيجية التضامنية"[٣٣] . فقد وردت هنا بوصفها أستراتيجية مختلفة ، فالشيخ بداية كان يخاطب مقدم البرنامج "أخي العزيز".

التي توحي بالألفة ، ومحاولة لكسب ود المقدم والجماهير ، أما هنا فقد تقصد التقليل من شأنه وتصغيره وتحقيره، فيوحي قوله بالسخرية والاستهزاء . وقد أستمر الشيخ حاتم بمخاطبة أنور عثمان بهذا الشكل ومن ذلك مثلاً " وحج البيت من أستطاع أليه سبيلا.طبعاً أنت تستطيع أليه سبيلا كل سنة مع بعثة وزارة الداخلية".

تتضمن عبارة الشيخ إلى جانب السخرية الواضحة ،نسقاً ضمنياً أراد به تنبيه الجمهور إلى أن المقدم لاينتمي إليهم أنما ينتمي للسلطة ، وهو من رجالاتها المقربين . وذلك جزء من محاولة زعزعة ثقة الجمهور بالبرنامج وصاحبه.

٣- جهد الشيخ حاتم على أن يضمن خطابه أيات قرآنية واحاديث نبوية شريفة إلى جانب أقوال لعلماء ثقاة. وكان ذلك بمثابة " حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"(٣٤).

٤- أعتمد الشيخ حاتم في خطابه الحجاجي على الوقائع التاريخية والواقعية للتدليل والاستشهاد، فهو مثلاً يستند بحادثة سب الامام علي على المنابر الاموية ولأكثر من ستين سنة ، فيرد بهذه الواقعة على سؤال أنور عثمان المغالط حول سب الشيعة للبعض من أصحاب رسول الله (ص) فأراد من ذلك تنبيه الجمهور بأن السنة مارسو السب أيضا ، ومع ذلك هو صفة مذمومة بأجماع العلماء .

٥- أختلف الاسلوب الحجاجي للشيخ حاتم في هذا الحوار المغالط عنه في حوارات حجاجية أخرى .اذ لم يعتمد الشيخ بأقواله على (أنا) المتكلم التي تعكس وجهة نظره وآرائه وأفكاره الشخصية ،لأنه يدرك أنه في ظل هذه المغالطات واللبس وسو الفهم التي يمارسها مقدم البرنامج ضد خطابه ، فأن الجمهور لن يأخذ بما يقوله او يصدقه ، لهذا توارت آراءه خلف آراء وأقوال للخلفاء او للصحابة او لعلماء ثقاة ،وصرح بذلك قائلاً :" انا لن أقول لك رأيي ، بل رأي أجماع العلماء" . وحرص ان يستشهد بأراء علماء معتمدين عند السنة ، ومنهم مثلاً ابن تيمية وهو من الثقاة في المذهب السني وذكر رأيه بتكفير الشيعة ، وان التكفير مرفوض في الاسلام وهو بدعة . وبهذا الاسلوب الحجاجي حاول الشيخ حامد ان يفوت على مقدم البرنامج فرصة كبيرة للطعن بأرائه " فما هو ذاتي لايصوغ حقيقة"( ٣٥)

٦- آثر الشيخ حاتم في حواره الابتعاد عن المنطق الصوري او الاستدلال البرهاني ، لما فيه من منطقية قد لا يستسيغها الجمهور ، وأعتمد بدلاً عن ذلك الاستدلال الحجاجي ، الذي يكون فيه الاقناع تدريجياً ، حيث يراعي تراتيبية الحجج المقدمة في الخطاب

ليس للحوار المغالطي هدف محدد ، ولايقود هذا النوع من الحجاج إلى نتائج ذات قيمة ، فعادة ماينتهي مثل هذا الحوار إلى لاشيء ، وبتقوضه، وهو مأأنتهى اليه حوار مقدم البرنامج مع الشيخ حاتم ؛ إذ تهافت الحوار بمجمله(٣٦) .

**الحوار ... وأدوات الحجاج**

يسهم الحوار في بناء المعمار الروائي لرواية (مولإنا) فهي رواية حوارية بامتياز ،وبذا يشكل الحوار تقنية مهمة كإن لها الاسهام الاكبر في إبراز الصراعات الفكرية للشخصيات الروائية ،إلى جانب إظهار ميولها الثقافية وتطلعاتها الشخصية مما ساعد المتلقي على تكوين تصور عن الهوية الفكرية للشخصيات المتحاورة، ويعد د. نجم عبدالله كاظم الحوار " جزءاً من عنصر اللغة او الأسلوب "[٣٧] ويقول : "يبقى أهم مافيه لغته"[٣٨] .

والملاحظ إن الحوارات الروائية تنوعت بين اللهجة المصرية الدارجة واللغة الفصحى ،وإن كإنت الغلبة للعامية ،ولإندعي إن ذلك شكل حاجزاً بين المتلقي والنص بقدر ما إنه شكل سمة أسلوبية للرواية أراد منها الروائي توظيفات مختلفة .وهكذا كإن الحوار الروائي حواراً حجاجياً، اعتمد فيه المتحاورون على إجراءات الحجاج المتنوعة ،يبغي كل طرف منها إقناع الطرف الأخر ، أو على الاقل يحمله على الرضوخ لوجهة نظره.

يقترح المفكر الفرنسي (إدغار مورإن) في كتابه (المنهج) شروطاً للحوار وتتمثل بما يأتي:

١- من الشروط الأساسية للحوار هو الاختلاف والتنوع ،فكلما تعددت وجهات النظر ذهنياً ونفسياً واجتماعياً كإن هناك أستعداد لقبول وجهات نظر مختلفة.

٢-الحوار الفكري قائم على تبادل الآراء ومناقشتها مما يعني الاسهام في رفض الدوغمائية والتطرف

٣-التنافس في إظهار المعلومات وطرح الآراء المتنوعة أهم مايجب إن يكون عليه الحوار

٤-لايجب خروج الحوار عن قواعده الأساسية ،وألا تحول الى عنف جسدي

٥-المجتمع المختلف بإنتمائته وثقافاته الاثنية مصدراً مهما للنقاش .

تمثل مقترحات (مورإن) الصورة المثالية للحوار ،إلا إنه في الرواية يشي بطبيعة المجتمع العربي الحافل باختلافات فكرية ودينية وعقائدية ،تنبيء بولادة أطراف متعارضة ،يسعى كل منها إلى الهيمنة والاستحواذ على الآخر.وكإن حوار الشخصيات لايقل رغبة في محاولة التمكين من الآخر، ويشذ (الشيخ حاتم) بوصفه الشخصية المحورية في النص السردي عن مثل هذه المحاولات ،فقد كإنت حواراته نابعةً من حجم مسؤوليته تجاه مجتمعه، فضلاً عن إنه ضد إقصاء الآخر[٣٩] .

أسهمت معظم شخصيات الرواية في تشييد الحوار الروائي ، وكان (الشيخ حاتم) هو الطرف الوحيد المقابل لكل منها ، فكان كل مشهد حواري يعكس جانباً من فكره وشخصيته ليكتمل وضوح فكر شخصية (الشيخ حاتم) ونضجها العقلي والإدراكي والنفسي لحظة جمع كل المقاطع الحوارية بضم بعضها الى بعض ، مع أكتمال المشهد الروائي . كما اظهر الحوار تعنت الشخصيات المتحاورة وتمسكها بمواقفها وسعيها لإلغا الآخر وإقصائه ، فضلا عن الاستهانة به والتقليل من شأنه ، فالشعور بالاختلاف وعدم التأييد لآرائها يدفعها الى الانتقام ، من خلال التعمد إلى إساءة الفهم وتفسير الاقوال بما تشتهي وتريد .

في وقت كان ( الشيخ حاتم) يؤمن بالإختلاف ويقر بتفاعل الأطراف المتباينة .لهذا كانت " الضرورة الماسة إلى الإقناع بسلطة الحجة"[٤٠] فجاءت حواراته الحجاجية تستند إلى البراهين والأدلة والاثباتات بغية إقناع الآخر للوصول إلى نتيجة مفادها " نبذ العقائد المتحجرة والايديولوجيات وكل ماله صلة بالحقائق المطلقة "[٤١] .

يكتسب الخطاب الحجاجي لـ (لشيخ حاتم) أهمية لدى المتلقي نابعة من كونها شخصية لاتبدو مثالية او مترفعة عن الاخطاء والاهواء ، فضلاً عن كونها تنتمي إلى منظومة يسعى إلى تفكيك مركزيتها من خلال تشخيص نقاط ضعفها . (الشيخ حاتم) يتوجه " بنقد داخلي (فكري واجتماعي وسياسي) لخلخلة واقع خاضع بشكل عام لهيمنة الفكر الأوحد المناهض لكل أشكال التعددية والاختلاف"[٤٢].

يحدد ارسطو العلاقات الحجاجية بثلاثة عناصر وهي:

١- الايتوس

٢- الباتوس

٣- اللوغوس

ويعتمد الاساس الاول على صفات الخطيب واخلاقه ، ويحدد ارسطو ثلاثة عوامل تبعث الثقة في المتكلم هي السداد والفضيلة والبر ،الاول هي القدرة على تكوين رأي سليم ، والثإنية هو البعد عن البشر في تفكيرهم ، والثالثة التحلي بالبر وأدلاء أفضل النصائح...بكل هذه الصفات ينال ثقة سامعيه"[٤٣] ولايتفق قول أرسطو هذا مع مايزعمه " بعض الكتاب في مقالاتهم عن الخطابة – ان الطيبة الشخصية التي يكشف عنها المتكلم لاتسهم بشيء في قدرته على الاقناع بل بالعكس ،ينبغي ان يعد خلقه اقوى عناصر الاقناع"[٤٤]

ويتعلق الاساس الثإني بالسامعين وميولهم ونوازعهم وعلى المتكلم إن يعرف كيف يضع القاريء في حالة نفسية معينة "[٤٥] ويؤيد ميشال مايير ذلك بقوله:" إن القدرة على الحجاج الجيد ، أي القدرة على الاقناع تقتضي المعرفة بما يمكن إن يحرك الذات التي نتوجه اليها بالخطاب"[٤٦]

اما اللوغوس فيتعلق باللغة او الخطاب ، والعمليات الاستدلالية والعقلانية المستجدة فيه بقصد التأثير والاستمالة .والقرائن الحجاجية في اللوغوس ثلاثة أنواع :

القياس المضمر والمقارنه والشاهد وهو ماعبر عنه ارسطو بقوله :" أنني اسمي المضمر قياسا خطابيا، وأسمي الشاهد استقراراً خطابياً ن كل الناس يبرهنون على إثبات ما ، اما بالشاهد وإما بالمضمر ولايوجد غيرهما من أجل هذه الغاية "

تتفق حوارات الشيخ حاتم على أختلافها في الرواية باعتمادها الاسس الارسطية بما يخص الباث او المتكلم .فهو إلى جانب كونه رجلاً له القدرة على التفكير المنطقي حرص على جعل كلامه مقبولاً إن لم يكن مقنعاً عند الآخر.وذلك من خلال كسب ثقة السامع بمراعاته للحالة النفسية له ،والإنفعال النفسي الذي يمر به ،فعادة مايكون خطابه متناسباً مع الظرف النفسي الذي يمر به ،فيحاول كسب وده فيطمئن له ولخطابه. كما يحرص على إن يتضمن خطابه الأدلة والبراهين التي تقحم الأخر وتجبره على القبول والاقتناع وكإنت أغلب الأدلة والبراهين تتمثل بالاستناد الى الايات القرإنية والاحاديث النبوية و القصص التاريخية ...ألخ. وهو يغلف كل هذا الحجاج بالسخرية والنكتة ،مما يجعل لكلامه أثراً مختلفاً على سامعه وكإنه يغريه بالاقتناع بخطابه. وبذلك كانت حوارات (الشيخ حاتم) تتفق جميعها بالأعتماد على الأسس الارسطية بغية تحقيق الإقناع.

تقوم مفاصل الرواية الأساسية على أظهار جوهر العلاقة بين الأطراف الثلاثة: السلطة ،ورجال الدين ،والعقل.

على الرغم من إن الشيخ حاتم كان أزهرياً ،إلا إنه ليس سلفياً كحال كثير من رجال الدين ،بل نراه رافضاً أسلوبهم المتشدد ،كما إنهم بدورهم يرفضونه ويعدونه "شيخ منَصْرَ ولست شيخ أزهر".وعلى الرغم من إنه لايظهر أختلافه عنهم علإنية أو في برامجه التلفزيونية ألا إنه يصرح في حواراته الخاصة بإنه يختلف معهم ولايتفق لإنهم ضد العقل ، فهم يحاربون فكر المعتزلة الذي يريد " مسلماً عاقلاً يفكر ويختار" . ويريد السلفيون من المسلم القبول بكل مايرد في أسإنيدهم الصحيحة من أحاديث وضعت عن النبي (ص)،وهي أحاديث يرجع وضعها إلى الخلافة الأموية ومن هنا " حفرت الحفرة الكبيرة العميقة بين المعتزلة والحاكم ووعاظ الحاكم".

وإذ يخفي (الشيخ حاتم ) حواراته العقلية خوفاً على مصالحه الشخصية ؛ إلا ان ذلك لم يمنع من أصطدامه بالسلطة من جهة وبالسلفيين من جهة اخرى.

يُظهر السرد شخصية (الشيخ حاتم) وهي تعيش واقعين الاول: الواقع العام الاجتماعي حيث يبدو فيه رجل دين صاحب برامج تلفازية مشهورة في القنوات الفضائية ، وهو يحرص في هذه البرامج إن يكون كلامه للناس " على الحواف ومن فوق السطح وفي الوعظ والإرشاد وتذكرة الناس بربنا وقصص تاريخية مهمة ، لكن الاساس فيها الوعظ وليس العظة ،الدعاية للدين وليس الاعتبار والتبصرة به ،فتاوى للحياة اليومية تلبي حاجة التدين عند الناس ،لكنها لاتغير حياتهم ولاحتى في نفوسهم شيئاً"[٤٧] .ويؤكد مرة أخرى إنه في برامجه التلفازية يقول:

" كلاماً على رغبة الزبون واماشي فيه رأي الناس أمام التلفزيون ،وأكبر دماغي ولا أتعبهم بالتفكير فهم يريدون كلمتين على المزاج ولاتصدمهم بأي أفكار اخرى ،فأعطيهم كلمتين طبعاً وكفى الله المؤمنين شر القتال"[٤٨].

أما واقعه الثإني :فهو الواقع الخاص الذي يخوض فيه حوارات جانبية ،وهو في هذه الجلسات الخاصة يظهر علماً وفهماً للدين مخالفاً للمحيطين به ،لاسيما السلفيين ،الذين لايخشى مهاجمتهم ونقدهم بشكل مستمر في جلساته الخاصة تلك.

وهو لايرى في هذين العالمين إزدواجية او تناقضاً بين مايقوله في برامجه الفضائية للناس وبين آرائه التي يخالف فيها أكثر الدعاة السلفيين نفاقاً ويوضح موقفه

" إنني لاأظهر كل مافي صدري وفي علمي ولاأقول كذباً ،بل أقول قشراً"[٤٩] .

كما أنه يميز نفسه عن الدعاة الاخرين المنافسين له في البرامج الدينية الفضائية ،وإن تشابه معهم بتكرار الكلام ذاته " إلا إنهم لايملكون غير هذا الكلام ،لكن إنا أملك علماً درسته وذاكرته واقتنعت به ، بل أحببته كذلك ، لكنني لا أبذل جهداً في الخروج عن النص التلفزيوني للدين"[٥٠]

يحرص الشيخ حاتم على واقعه الاجتماعي العام ، فيردد في برامجه مايريده المنتجون والسلطة من خلفهم، ففي النهاية هو شخصية مشهورة ومحبوبة لدى البسطاء من الناس و" أهل القصور"[٥١] وهو لايعنى كثيراً بالتجار فاسدون والمرتشين للسلطة ممن يمولون برامجه، مقدار مايعنيه الربح الذي يكسبه من هذه البرامج وإن يحقق نجاحاً يمكنه من التفوق على منافسيه في صراعه معهم ،ويصفه على أنه" صراع عوالم وليس علماء"[٥٢]

وهو يدرك إن مثل هذا الصراع لايليق بالعلماء فيعترف " إننا لاعلماء ولاباذنجإن".

يمتلك الشيخ حاتم جزءاً عبثياً وهزلياً يحبب الآخرين فيه ،ويمنعهم أيضاً من معرفة صدقه من سخريته ،وقد تمكن من استثمار هذا الجزء الهزلي في طرح وقائع حقيقية وخطيرة ولو على نفسه

" شيخ الجامع يرضي الله ،بينما شيخ التلفزيون يرضي الزبون سواء كان المنتج أو الشركة الراعية أو الجمهور " .

ويحرص ايضا على إرضاء السلطة ،فلا يتدخل بما يضايقها ،ولا يعنيه كثيراً أمر الفقر والظلم ،ويترفع عن كل ذلك بشعار يردده " لاسياسة في السياسة ولادين في الدين" ومعنى ذلك إن لاحقيقة في السياسة أو الدين.

تصور رواية (مولانا) سلوك وعاظ الفضائيات وهم يعتاشون على الدين من أجل زيادة مكاسبهم المادية وثرائهم الشخصي ،وما يميز (الشيخ حاتم) عن هؤلاء إنه يقر بذلك ويعلنه

" فإنا شخصياً كسبت من الدين فلوس أكثر من الذي كسبها الخلفاء الراشدون والبخاري ومسلم وابن كثير وأبن الاثير والقرطبي والزمخشري"(٥٣) .

محطات مفصلية تكشفها الاحداث الروائية، بالإنتقال من حالة إلى اخرى ومن موقف إلى آخر ، فالسلطة لا تسامح من يصطدم بها ولو من غير قصد ، ومعرفة سر يتعلق بأرفع مسؤول في الدولة هو سبب كافٍ للتصفية والتسقيط . ومن غير مواجهة تتخذ السلطة الرأي العام وسيلة ناجحة للتسقيط والإذلال من خلال إداتها المفضلة الاعلام.

أغلب الحوار الحجاجي في الرواية كان (الشيخ حاتم) أحد إركانه ، وأختلفت طبيعة حواره بين عالميه : الخاص والعام فيعتمد العقل والمنطق والحجج في الحوار الخاص.

اما في التلفاز ، فعادة مايكون الحوار سطحياً وهامشياً ويخلو من اية بنية حجاجية.

وفي محاولة السلطة بإنها حياته العملية (الشيخ حاتم) وتصفيته بإطفا نجوميته وإلغاء برامجه التلفازية كونه أطلع على مالم يجب الاطلاع عليه . يعمد (الشيخ) إلى مزج عالمية وواقعية ليتسيدهما العقل معاً. فيضع حداً لإزدواجيته وثنائيته المتناقضة ، وكأن أعتقاله لليلة واحدة في دائرة الأمن المركزي ،قاده لتوحيد ذاته والتصالح معها ، فتحول إلى شخصية لا تقبل المهادنة ولا الرضوخ في الحوار ، ويتعمق بما يريده العقل ويقبله المنطق .

وهذا ماظهر جليا في حواره التلفازي الاخير مع المقدم (انور عثمان) حيث خالف سيرته الاولى فكان يناقش " بالعقل لا بالنص" على الرغم من كل المحاذير ، أصر مع نفسه على أن يقول كلمته الاخيرة وبمواجهة مباشرة مع الجماهير ، فكان حواره الاخير مشيدا ببنية حجاجية عقلية سخر بها كل خبرته ومعرفته.

وفي موضع آخر أخذ (الشيخ حاتم) موقفاً آخر أكثر صرامة وحزماً عندما قاطع أحد السلفيين وهو يلقي كلمته أمام وزير الاعلام تمهيداً لإلقائها في الكنيسة بعد التفجير الارهابي الذي طالها فقال بشجاعة :

" مع احترامي يا فضيلة الإمام الأكبر ويا دكتور هاشم ،إذا كنا سنقول هذا الكلام في الكنيسة لنعزي الاقباط في ضحاياهم فمن الافضل ألا نذهب أصلاً" .

وقد أثارت مقاطعته حفيظة شيوخ السلفية فهاجموه ،وكادوا الفتك به.

تنوعت الموضوعات الحوارية على امتداد الرواية ، فشملت أكثر الموضوعات إشكاليات مختلفة في الدين والتاريخ السياسي ، أخذت شكل ثنائيات متقاطبة: المعتزلة . السلفيين، والمسيحيين– المسلمين ، والسنة –الشيعة ، والفكر السلفي التقليدي . والفكر المجدد..ألخ .

سمحت هذه الاشكاليات ، بالسجال والنقاش الفكري الثر بين المتحاورين ،فكل يدلي بدلوه مستنداً إلى حجج وأدلة يحث فيها المتكلمُ السامعَ على الاقتناع بخطابه . فكان الاختلاف هو "المحرك الاول للحجاج" ولا يمكن إن يكون فيما هو متفق عليه ووفقاً لرأي بيرلمإن ان الحجاج يكون في المرجح والممكن والمحتمل.

أشار البحث سابقاً إن رواية (مولإنا) قائمة على الحوار ، ويكاد يختلف عن طبيعة الحوار في اية رواية اخرى فهو لا يتعلق بالمشاكل النفسية والاجتماعية التي يقصد منها الاخبار والاستعلام عن حال المتكلمين . فالحوار في هذه الرواية قائم على سؤال وجواب وجاءت تقنية البرامج التلفازية الحوارية متناسبة تماماً مع طبيعته هذه ، كما إنه يناقش قضية محددة يحاول كل طرف في الحوار حسمها لصالحه .

اذا كانت وظائف الحوار في العمل الروائي معروفة ،إلا إنه في هذه الرواية يتميز بشكل لافت ، فهو يكاد يغلب على السرد الروائي وقد يتسامى عن وظائف الحوار التقليدية التي أشار إليها الدكتور عبدالاله احمد في أحدى مداخلاته النقدية كونه يخفف من حدة الرتابة السردية ويبعد الشعور بالملل أذ انه يريح القاريء من متابعة السرد[٥٤]. أو بتقدير الدكتور نجم عبدالله كاظم ، ان الحوار في الرواية يمنحه سمة الواقعية .فالحوار في رواية (مولانا) وسيلة حجاجية اختلفت موضوعاته مابين فقهية وفكرية عقلية مما يعكس ثقافة المتحاورين وميولهم الفكرية ، وعلى امتداد الرواية التي كان الحوار يشيد بناءها العام، لايصحب المتلقي ملل أو سأمً ، وذلك لتنوع

موضوعاته فضلاً عن تنوع اللغه التي جاء بها، فتارة فصيحة مبسطة وتارة أخرى بالهجة المصرية العامية المحببة، كما يمكن إن تكون علة ذلك ،لإرتباط الحوار بشخصية (الشيخ حاتم) وقد جاء مناسباً مع ما يعبر عن ذاته وفكره ، وليس مقحماً عليه ،وقد ترد في ذهن المتلقي صورة ابراهيم عيسى الكاتب ، وكإننا نسمع صوته هو ويزيد من ذلك أنه شخصية اعلامية معروفة للجماهير، إلا إن شخصية (الشيخ حاتم) تبدو من القناعة والقبول لدى القاريء مما يمكنها من طمس شخصية الكاتب لتتصدر المشهد في ذهن القاريء.

**الحوار الصامت (المونولوج) وبنية الحجاج**

يتنوع الحوار ذو البنية الحجاجية في الرواية ما بين حوار دايلوكي ومونولوجي.، وكما أرتبط الحوار الاول بشخصية الشيخ حاتم كذلك كان الحوار الثإني قد ارتبط به أيضاً ، بل يكاد ينحصر عليه ، قد تنوعت مقاطع حوار الشخصية مع ذاتها في الطول والموضوع ،لكن أطول مونولوج كان عبارة عن أسئلة يطرحها الشيخ حاتم على نفسه في موضع كان فيه مع انور عثمان لتسجيل لقاء تلفازي. أدرك الشيخ حاتم إن الاعلام والسلطة يريدان إنهاء حياته المهنية بلقاء مباشر امام الجمهور، وبعد إن علم الشيخ حاتم بموضوع الحلقة التي استضافه مقدم البرنامج للحديث عنه بقوله : " عن الشيعة طبعاً"[٥٥] ،أدرك الشيخ عمق المأزق الذي يريد المقدم زجه فيه ، بعد ان كان يعتقد إن الموضوع لا يتعدى الحديث عن مسائل في الشرع والحلال والحرام ، فراح يطرح على نفسه اسئلة تحمل في جوهرها بنية حجاجية.

فيسأل الشيخ حاتم:

١- هل إتفقا عليه ضابط الشرطة مع مقدم البرنامج " جرجرة لموضوع الشيعة فاما ان يقول ما نريده...ويحدد خضوعه للأمن الراضي لجهاز أمن الدولة ...و... إما تبقى نهايته عند الناس وعندنا"[٥٦] .

٢- ثم يطرح أسئلة لنفسه:

"ماله هو والشيعة فليقل مايريد الجميع ان يسمعه ، هو شيخ شاشة وليس شيخ علم"[٥٧] .

٣- " أليس هذا مادرب نفسه عليه...هو شيخ الضوء الأحمر وداعية تلفزيوني عليه ان يعرف إنه ملك لهذه اللعبة وتلك اللعبة"[٥٨] .

٤- "لماذا يعتقد إنه من المهم ان يقول كلاماً مهماً ؟ ومنذ متى صار صاحب رسالة ".

٥- "هل يخشى على نفسه من العقاب وقطع الرزق وذل الرقاب ، أم يخشى صورته تتمزق أمام حسن وحين يجيء لحظة فهم عمر".

٦- "أين الله في هذا كله ؟ لماذا لم يفكر في موقفه أمام الله حين يقول ما لا يرضيه كي يرضي غيره".

٧- هو "الان بين التماشي مع الكذب المنتشر خشية ان يقع فوق رأسه طرق مطرقة ...او مجابهة الكذب متحملاً أسوأ الاحتمالات" .

يكشف الحوار الداخلي للشيخ حاتم عن حجاجه مع ذاته وكإنما يحاول إقناع هذه الذات لإن يسلك مسلكاً ينقذه مما هو فيه ، وقد لخص التساؤل الاخير حجم التمزق الذاتي مابين ان يتماشى مع الكذب او يقف لمواجهته . وقد أخذ الشيخ يذكُر نفسه بما لها وعليها ، فهو شيخ الضوء الاحمر ، وشيخ شاشة ، وهو ليس صاحب رسالة ،إنما هو داعية تلفزيوني ، لذا فهو كمن يحرض نفسه على إن يساير ماتريده السلطة والجمهور خوفاً على نفسه من العواقب ، وفي مواجهة هذا كله يكون رضى الله واهتمامه برأي حسن وعمر به.

يقرأ الشيخ حاتم اتفاق ضابط الشرطة مع مقدم البرنامج لاستدراجه الى موضوع حلقة البرنامج ، بغية الإطاحة به اذا لم يقل ما يريدونه وما بين حقيقتين متعارضتين: مهادنة السلطة وإرضاء الاعلأم والجمهور أو مواجهتهم جميعاً حتى وإن كان "جمهورك ضدك ومجتمعك كارهك" ، تظل ذات الشيخ حاتم معلقة في فراغ لإ نهاية له.

يطرح هذا الحوار الصامت صراعاً يعترك في ذات الشخصية وكانه يذكرنا بالصراع بين النفس اللوامة والنفس الكريمة عند الشاعر العربي القديم ، فلكل منها مباديء حجاجية تتنافى عن الأخرى وهذه المباديء:

" هي مجموعة من المسميات والافكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية معينة ، والكل يسلم بصدقها وصحتها " .

ولكلا المسلمتين المتعارضتين نتيجة مضادة عن الأخرى ، فأما مهادنة السلطة وترويض الجمهور بقول الكذب والزور ، فيضمن سلامته وامنه ورزقه . او مواجهة الزيف وكشف الحقيقة ويصبح عدواً للسلطة وللجمهور معاً.

وتقدم الشخصية مع كل مبدأ حجاجي ،حجة تكون بمثابة نتيجة لما قد ستختاره، فواحدة إيجابية وأخرى سلبية.

**الخطاب الحجاجي .. والاقناع**

تنوعت الحوارات ذات البنية الحجاجية في الرواية بموضوعاتها ومضامينها ، كما اختلفت هذه الحوارات في طريقة تفعيلها وإثارتها . فكان أغلبها يأخذ صورة الحوار الاعتيادي إلا إن مضمونه ينطوي على الحجاج ، يسعى فيه طرفا الحوار لإقناع الآخر ، أما بعضها الأخر فقد اتخذ صورة المناظرة . ويتناول البحث بعض هذه الحوارات كاشفاً عن بنيتها الحجاجية ومنها :

حوار الشيخ حاتم مع الشيخ فتحي المعداوي حول حديث الرسول (ص) في إرضاع الكبير وقد تم ذلك على شكل مناظرة أعدت لها إحدى الشخصيات في الرواية بغية إثارة الخلاف بين الشيخين وتفعيل جو السهرة بإثارة حماس الموجودين بتحريض المتناظرين أحدهما ضد الأخر.

يسحب خالد ابو حديد فتيل القنبلة المعدة لأثارة المناظرة بين الشخصين بقوله مخاطباً الشيخ فتحي:

- الا شفت الشيخ حاتم يامولإنا ، وهو يسخر من الفتاوي بتاعة ارضاع الكبير ويقول ده شيخ محتاج رضعة.

فهم الشيخ حاتم المغزى من إشارة (ابو حديد) فقرر إن يظل هادئاً ، فقال مصححاً

- إنا لم أقل هذا إطلاقاً" ويستدرك ساخراً " إنا قلت :إن الشيخ يفتي بجواز إرضاع الكبير رجل ناقص ..رضعة" .

وبالمقابل كان رد الشيخ فتحي المعداوي مُهيناً ،وأبعد ما يكون عن روح المناظرة الفقهية قائلاً :

- وإنت مالك ياحاتم يامفتي المراهقين بكلام شيوخك وأساتذتك".

يعمد الشيخ فتحي المعداوي إلى تضمين كلامه روحاً استعلائية بتذكير الشيخ حاتم بإنه تتلمذ على يديه في الأزهر ، ويأتي ذلك في إطار تقوية حجة كلامه ضد الشيخ حاتم فيسأله :

" ياشيخ حاتم ،إنا علمتك ايه في الجامعة لما كنت بادرس حديثاً نبوياً" .

يفهم الشيخ حاتم الغاية من السؤال ، ويعدها " ضربة موفقة منك ياشيخ فتحي" .

هكذا يحدث نفسه ليجهزها لرد رادع ، يقلل فيه من شإن الحجة المطروحة ، بإنه كإن تلميذاً على يدي خصمه في الحوار فيقول :" علمتني إن اقول بسم الله الرحمن الرحيم قبل ما أكل".

فيوظف السخرية لقلب معادلة الاستعلاء ، وأضعاف حجة المقابل وقد نجح في ذلك بأثارته زوبعة ضحك الموجودين بصفتهم طرفا ثالثا في الحوار .

ولم يسكت الشيخ فتحي ، إنما عمد الى رد قوي آخر بقوله:

" يبدو إنني علمتك كيف تأكل ونسيت إن أعلمك كيف تفكر"

كإن رداً مُقحماً ، ولم يمهل الشيخ المعداوي الشيخ حاتم زمناً ليسأله سؤالاً استنكارياً عن رأيه بأهمية كتاب البخاري ،وجاء رد الشيخ حاتم قاطعاً بإنه::

" أصح كتاب بعد كتاب الله"

وهنا يحتج الشيخ المعداوي ، بما إن الحديث النبوي حول رضاعة الكبير قد ورد في البخاري وهو أصح الكتب بأتفاق الجميع ، فما وجه الإنكار لدى الشيخ حاتم ، وبهذا الشكل تأخذ المناظرة الحجاجية مسلكين مختلفين فالشيخ فتحي يمثل الأصوليين المتمسكين بكل ماورد في كتب الاصول الصحيحة ويقرون بأحقيتها. اما الشيخ حاتم فيجسد الروح التجديدية في الدين ، ورفض الأخذ بكل ماورد بكتب الاصول ، إلا بعد إخضاعها للعقل . ويعتمد الشيخ فتحي البرهان المنطقي القائم على حقيقة واقعية في مناظرته ، قاصداً إقناع الآخر وكسب تأييد الموجودين من حوله في السهرة للقبول بوجهة نظره ، ونمثل ذلك في المعادلة المنطقية :

البخاري سند صحيح

الحديث ورد في البخاري

أذن الحديث صحيح.

يهدف الشيخ فتحي باعتماد قياس منطقي

" تغيّر تصديقات أو اعتقادات المتقابلين بقصد من المتكلم بحيث يتحول الفعل الكلامي إلى فعل حجاجي". ويعمد إلى الآيات القرإنية للدفاع عن حجته بوجوب إطاعة الرسول (ص) في كل ما يقوله ، لاسيما وإن حديثه حول إرضاع الكبير قد ورد في كتب صحيحة ، فيقول:" علمونا إنه على المسلم إن يتلقى حكم الله بالقبول والإنقياد

" وماكإن لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً إن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً بعيداً" .

وإن على المسلم الحق ألا يناقش الحكم إنما يناقش الدليل. ينهج الشيخ حاتم أستراتيجية مغايرة في محاججته ، فهو يعتمد العقل الذي " يسعى إلى الوصف والاظهار والكشف عن المنطق الداخلي للخطاب لمعرفة مدى تماسك عناصره وإنسجامها ومدى صحة حججه وأدلته" . ويعلن للشيخ المعداوي " إنا لا إنكر الحديث يامولإنا وماتوقعنيش في الغلط".ويفيد الشيخ حاتم من تدخل طرف ثالث قصد تهدئة الحوار بين الشيخيين قائلاً :

" جرى أيه ياجماعة؟ ماله حديث إرضاع الكبير ما لواحد فعلاً ناقص رضعة ، وحد يطول يرضع على كبر" .

وكانت المزحة التي أطلقها المتحدث الثالث: يمثل هذا الطرف عند أرسطو من وسائل الاقناع غير الصناعية فهو وسيلة جاهزة لا يتدخل الخطيب في ابتكارها حالها حال الشهود او الاعتراف والعقود والقسم.

" حد يطول رضعه على كبر" هي النقطة ذاتها التي أكد عليها الشيخ حاتم بقوله:

" شفت يامولإنا الشيخ فتحي ، هذا بالضبط ماأردت إن إنبه عليه : إن هذا الحديث علم الخاصة ما كان لنا إن نذيعه للعامة ... إنا لم انكره ، لكن شرحت خصوصيته" .

يخوض الشيخ حاتم المنشاوي حواراً حجاجياً آخر مع الشاب حسن الذي أرتد عن دينه الاسلامي الى المسيحية ، وقد أوكلت عائلته مهمة إعادته الى رشده ودينه الى الشيخ حاتم ، والخطير بالأمر إن حسناً هو أبن أثرى أثرياء مصر وإن زوج أخته هو ابن رئيس الجمهورية .فشعر الشيخ حاتم إن حياته ومستقبله على المحك ، وإن أمنه وأستقراره مرهونان باقناع الشاب للعدول عن رأيه في التنصر.

يعتمد الشيخ حاتم الاقتباس والتضمين بوصفهما آلية حجاجية "حيث تشكل الاقوال المقتبسة حجة يتقوى بها الخطاب ، والثاني هو تصديق الحاضرين قولاً يتقوى على حقيقة وواقعية مايقوله"

ينهج الشيخ حاتم في حواره مع الشاب منهجاً يعتمد فيه على ثقافته العامة وليست ثقافته الدينية لتسخيرها في خدمة مهمته . وبوصف الحوار " المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز"( ) .فيؤكد الشيخ حاتم على أهمية إقامة حوار خاص مع الشاب حسن مراعياً فيه ظروف الشاب – الأمر الذي يؤكده بيرلمإن " على ضرورة أخذ المتلقي والظروف النفسية والاجتماعية للتواصل بعين الاعتبار من أجل تحقيق حجاج فعال".

يأخذ حوار الشيخ مع حسن حيزاً كبيراً من الرواية التي يمتد عدد صفحاتها الى ٥٨٢ صفحة ومنه يتسائل حسن مندفعاً " هل هذا دين ، الذي يجعل الشيخ بتاعه ذليلاً للدنيا ، ومتعلقاً بالمال ، ومنافقاً وجبانا.

ويرد الشيخ حاتم إن هناك فرقاً " بين الدين ورجال الدين ، وهذا في أي دين . خذ عندك الاسلام كما المسيحية ، يعني ... إنت أكيد رحت لرجال دين أقباط ، إخوانا القساوسة ، رأيتهم شجعإن وأبطالاً وفرسانا ؟ ... وجدتهم جبناء تماماً مثل الشيوخ ". ويؤيد الشاب حسن كلام الشيخ وإنه كان يراسل القساوسة ويتكلم معهم في الإنترنيت ، ولكنهم بمجرد إن عرفوا هويته

" تهرب مني ، وبدأ الكل يبعد عني لدرجة إنني بدأت أرسل لهم رسائل عتاب ، ثم هجوماً واتهامات بالتخلي عن المسيح وإنهم جبناء" .

ينتهي اللقاء الاول بتصريح حسن

" – إنا غير مقتنع"

ويبدي الشيخ عدم أهتمامه وعدم اكتراثه قائلاً :

"– إن شاء الله عنك ما اقتنعت".

محاولة منه لترك أثر في نفسية الشاب. ويختار الشيخ حاتم ان يناقش قضية ارتداد الشباب عن دينهم في برنامجه التلفازي ، وكان الحديث موجهاً للشاب حسن من غير التصريح بهويته.

وكإن هدف الشيخ من ذلك هو لاشعار حسن إن الشك بالدين ليست قضيته لوحده ،كما إنها ليست خطيرة ، فهي مسألة اعتيادية قد يمر بها الشباب في مرحلة عمرية ،وهو يستند الى أحاديث نبوية لتقوية حجة كلامه

"يخبرنا النبي إننا لازم نشك وأكثر من شك إبراهيم الخليل".

ويروي عن النبي قوله :" نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ربِ أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي".

ويوضح الشيخ حاتم "إن النبي يطبطب علينا ويقول لنا لاتخافوا لو صادفكم شك ولو زاركم وسواس شك ، اهتز إيمإنكم لدرجة إلحادكم ، لا تقسوا على انفسكم فقد شك أبوكم إبراهيم".

وكإنت نتيجة هذه المناقشة والطرح هو إدراك " حسن إن الشيخ حاتم فعلاً أحبه وعرف كذلك إنه سيهزمه ! "( ) . وكان ذلك مهماً لدى الشيخ حاتم لاستكمال مهمته الحجاجية مع الشاب بإقناعه بالعدول عن التنصر.

وحرصاً من الشيخ حاتم في فهم سايكولوجية الشاب حسن ، وظروفه الحياتية ، فإنه يزور الطبيب النفسي الذي رشحته عائلة حسن لمعاينة حالته ووضعه النفسي ، وقد أحجم الدكتور عن اخبار عائلة حسن بحقيقة وضعه النفسي ، والذي لم يتردد في كشفها للشيخ حاتم قائلاً :" الولد يعاني جفافا عاطفيا عميقا ، ومن غربة بحق أهله ومجتمعه ، بالاضافة إلى إن ضميره صاحي مش عارف إزاي ، واخد باله من الفساد المحيط به واستغلال النفوذ ، وأظن إن مسألة تغيير دينه جزء من عملية الاحتجاج النفسية التي يقوم بها ضد مجتمعه"( ) .

يضع الشيخ حاتم كلام الدكتور في اعتباره في لقائاته مع حسن ، الذي يحاول ان يشهر عن تنصره بارتداء سلسلة تنتهي بصليب علقها على صدره ، وأرتدى "قميصاً مكتوباً فوقه بالإنجليزية (إنا أحب المسيح) "( ) ،وكإنه يريد بهذا الاشهار تحدي عائلته ومجتمعه . وكالعادة لم يبد الشيخ حاتم اهتماماً بما يظهره الشاب ،فتجاهل ملابسه ، وأبدى أعجابه بشجاعته ؛ لإنه يتحدى والده الغني وصهره السياسي الذي يملك البلد( ) . وهو في الوقت ذاته يحاول استفزازه بتأكيده على جهله بقلة قراءاته في علم الاديان ،وإن ثقافته لا تتعدى تصفح بعض المواقع على الإنترنيت ويخاطبه بحزم " إنني لاأريدك إن تتراجع عن فكرة إنك تنتصر لإنني أخاف إن تدخل النار ، فالحقيقة إنني لا اضمن لك إنك ستدخل الجنة لو ظللت مسلماً...لانني مؤمن إن الله عزّ وجلّ يشمل برحمته البشر كلهم مسلمين ونصارى ويهوداً وملاحدة وبوذيين..."( ) .

–" لكن إنتم بتقولوا إن الدين عند الله الاسلام"

ويرد الشيخ مستنداً على الايات الكريمة بقوله تعالى : " لكم دينكم ولي دينِ". " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" وقال عن المسيح " وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة " ، وفي سورة البقرة يقول : " لا إكراه في الدين".

ويحتج حسن عما جاء في القران " ومن يبتغِ غير الاسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين" فأجاب حاتم ... ممكن يبقى فيه امتيازات لهذا الدين عن غيره ، لكن في الاخرة ممكن غير المسلم يكون من الخاسرين بمعنى خسارة إنه دخل النار وجهنم ، وربما خسارة الامتيازات الممنوحة لدين الاسلام"ويسأل حسن " – أليس في هذا تناقض كبير إن آيات تقول المسيحي كافر وآيات تقول مؤمن"

ويرد الشيخ حاتم بعد تأمل قائلاً : " ألا تظن إن ربنا من فوق سبع سماوات او محمد بعبقريته الفذه وقدرته الهائلة على الاقناع غاب عنهما إن هناك شخصية ألمعية ألمظية مثلك سوف تقرأ القران وتقع على نقاط فيه فتقول الحق هذا تناقض".

وكالعادة يعتمد الشيخ على الأيات القرانية لدحض مايقوله حسن " ربنا لما يقول في سورة آل عمران " إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة" ، يبقى خلصت وجابت آخرها إن الذين أتبعوك يا عيسى فوق الذين كفروا الى يوم القيامة . "المسيحيون ليسوا كفرة ولا مشركين" . ويوضح الشيخ إن ما يشعر به حسن من تناقض " قال المسيحي مؤمن ورجع قال كافر،... إن كلمة كفر فيها عشرات المعاني ، وإنا لست مسؤولا عن فهم الناس للقران ..إنا لي القران نفسه ، والمشكلة القطع في التفسير وليست في القران" .

وفضلاً عن إنه يحاول إن يفهم شخصية حسن ويعرف نفسيته فهو أيضا يحاول إن يكسب ثقته ، عندما قال له حسن " أرجوك توقف ، عن الاستخفاف بعقلي والتعامل معي باعتباري شاباً مضحوكاً عليه"( ). فأجاب الشيخ بجدية " على العكس ، إنا أحترم عقلك جداً وجرأتك تماماً ، وأقول لك آرائي وأفكاري التي لم أصارح بها أي إنسإن على وجه الارض حتى الان ، بل وحاسس إنك تعيدني الى العلم بعد سنوات"( ) .فالشيخ يسعى لكسب ثقة حسن باستراتيجية مغايره لمن تعامل معه بعد إعلان تنصره سواء من أهله او شيوخ الدين السابقين.

ومرة أخرى يسعى الشاب حسن الى مواجهة كل من يقف ضد تنصره وهذه المرة يشهر عن مسيحيته فيطلق على نفسه أسم بطرس ويضع وشما على ذراعيه صليبين يصنعهما بالسكين ، وهو هذه المرة يحتج على مراقبة " الأمن ومن مجموعات إسلامية تحارب التنصير في مصر " ،ويخاطب الشيخ حاتم

"– إشمعنا إنتم بتدخلوا مسيحيين الاسلام ومش عايزنا ندخل مسلمين المسيحية؟".

ويرد الشيخ حاتم بابتسامة قائلاً :" إنا ضد الدعوة لاسلام النصارى طبقاً للقاعدة الفقهية " درء المفسد مقدم على جلب المنفعة" فاذا كان المسلمون يعتقدون إن الاسلام شخص مسيحي منفعة للاسلام فهذا إعتقاد واهم ، سببه شعور المسلمين بإنهم أقل قدرة إمكانات ...فهو نوع من التعويض ...في واقع كله هزائم كان لو اسلم مسيحي يبقى المسلمون بقوا أفضل وأحسن ...اما المسيحيون فيرون في تنصر مسلم معجزة نورإنية تنتقم لهم من غطرسة وغرور المسلمين الذين يتعاملون كإنهم الأفضل والاعظم ، وانتصاراً للأقلية في مواجهة الاغلبية ...فلما ينجح المسيحيون في تنصير مسلم يبقى عيداً أو اعلانا للنصر. وهذا كله لاتراه في اوربا حيث يدخل مسيحيون

الاسلام ولاتهتز الدنيا ...كما يدخل الاوربيون وامريكإن البوذية دون إن يقلق أحد ، كما ينتصر مسلمون من دون ضحايا ولا افراح واعراس مسيحية ".

يجتمع الشيخ حاتم بحسن ومجموعة من أصدقائه في غرفة في السجن ،وكانت خطة بالتعاون مع الشرطة للألتقاء بحسن ومن معه لأقناعهم بالعدول عن طريقهم الذي يسيرون به نحو التنصر . ويسأل الشيخ " لازم أسالكم :هل خرجتم من الاسلام كرهاً فيه أم حباً في المسيحية ؟ طبعا لا ، الاسلام يمكن إن تكرهه من دون إن تحيط بكل مافيه ، وإنتم بسبب سنكم ... عيال بالمعنى الدقيق لا يمكن ان تكونوا ملمين بعشرة في المائة من الاسلام ، غير ما سمعتوه من شيوخ أو من قساوسة النت يشتمون الاسلام" وينبه الشيخ حاتم الى إنه " لا إحاطة حقيقية بكل تفاصيلها او ثوابتها"( ) بالدين مسيحي كان او أسلامي وان لا أحد يمكنه ان يمثل الدين " وانت حر بعلاقتك مع ربنا في الاسلام وفي المسيحية كمان ، لإن رجال الدين هم الكارثة التي حلت على الدين ، على كل دين وعلى اي دين "( ) .

ويحاججه أحدهم بإن الدين الاسلامي يدعي إنه أفضل الاديان وفقا للاية " كنتم خير أمة". ويوضح لهم الشيخ إن ذلك مشروطاً " بواجب يعمله المسلمون ، التزامات محددة وواضحة يقوم بها المجتمع الاسلامي أو الامة ، فإذا اخلت بهذه الشروط لاهي خير ولا شر أمة" .كما ينبه الى إن المقصود بالأمة الاسلامية " ليس الامة بمعناها العربي"( ) لإن المسلمين في كل بقاع العالم . وهذه المرة يسألهم الشيخ حاتم عن قرائاتهم ، ويظهر إن جُلّ قراءاتهم

–" قرانا على الإنترنيت كتباً كثيرة تفند كل مزاعم الاسلام وتبين ضعفه

رد حاتم :

– والله لو قرأتم بجد وبحق وقررتم تبقوا مسيحيين أو بوذيين فهذا حقكم ، لكن مشكلتي معكم إنكم تتخذون نقلة كبيرة هائلة في حياتكم من دون علم ، انا لست مهتماً قرأتم إيه ومين في الاسلام. إنا أسأل هل قرأتم المسيحية؟ نحن لإننقل ولاءنا من نادٍ الى نادٍ بل من دين الى آخر ، والأولى هنا هو إلى أين سنمضي؟ ".

غالباً ما يلاقي حسن واصدقائه الشيخ حاتم بالسكوت ،وكإنه يحرك في دواخلهم شيئاً للقبول بما يقول ، إلا إن عناد الشباب وحماستهم تدفعهم الى الرفض . فظل حسن متحدياً عائلته ومجتمعه ،وقد أصر أخيراً على دخول الدير فيواجهة الشيخ حاتم قائلاً:" شوف ياحسن إنت أجهل من إن تترك الاسلام للمسيحية ، أو حتى

ترجع من المسيحية للأسلام ،فلا إنت تعرف الاسلام ..ولا تفهم حاجة في المسيحية ..إنت تكره عائلتك وتنتقم عليها .. ولهذا تتمرد عليهم ، وجاءت قصة التنصر هذه فرصة ممتازة كي تعاقبهم"( ).

أستطاع الشيخ حاتم إن يشخص حالة حسن بإنه أمر تنصره لاعلاقة له بالدين الاسلامي او المسيحي ، إنما هو ناجم عن محاولته إلفات النظر له ، والإنتقام ممن يتجاهلونه لاسيما عائلته المشغولة بمصالحها واعمالها.

الملاحظ من حوار الشيخ حاتم إنه يعتمد إجراءين ،يستنبطهما من الفلسفة اليونانية محاورات سقراط ، وهما (التركيب) و (التحليل) .وقد شرح الشيخ حاتم هذه الاستراتيجية في موضع ما من الرواية قائلاً:" هناك في الفقه قاعدة اسمها تحرير المسألة ، يعني تمسك الموضوع الذي نحن بصدده ونفكه قطعا كما في الميكانو بالضبط ، قطعة قطعة ،ونرى كنهها وتركيبها وموقعها من الشرع وموقف الشرع منها"( ).

ويمكن أجمال أهم ميزات الحوار الحجاجي الذي خاضه الشيخ مع الشاب حسن بما يأتي:

١-الشيخ حاتم يحترم محاوره ولايحتقره أو يستصغره ، وقد صرح بذلك في أكثر من موضع في السرد الروائي ،فهو يحترم أفكار خصمه على الرغم من اختلافه معه ، مما يجعله أهلاً لكسب الثقة من قبل الاخر .

٢-كان الشيخ حاتم مستمعاً جيداً لكل ما يقوله حسن ،وقد ساعده ذلك على فهم الشاب ومن ثم اختيار المسلك المناسب للتعامل معه.

٣-حرص الشيخ حاتم على تجاوز اللهجة الدينية والفقهية الصعبة الفهم وحرص على ان تكون لغته سلسة ومفهومة من قبل مستمعه الشاب حسن

٤-أعتمد الشيخ على الايات القرانية لتقوية حجته ، وأظهار وجهة نظره

٥-وظفت السخرية في كلام الشيخ حاتم لأمرين : أولاً هي جزء من أسلوبه الشخصي في الحوار ، وكانت محاولة لتعريف الشاب حسن به وتشجيعه على التقرب منه والوثوق به ثانياً.

٦- أحياناً يستخدم الشيخ حاتم الضمير (انا) في حجاجه وهو يكشف عن رؤية شمولية ودراية بالواقع المحيط به نتيجة الاحتكاك به ، والتفاعل معه.

٧- أظهر الشيخ حاتم عدم اهتمام كبير بمسألة تنصر حسن او إسلاميته ؛ لإن الأهم برأيه هو فهم الدينين ثم الاختيار ،ما يجعله مختلفاً عن كل الذين واجهوا حسن وحاربوه بسبب قرار تنصره.

أحتضن الشيخ حاتم الشاب حسن وشعر به وكانه ابنه الذي لم يهنأ به ،لاسيما وإنه قد جعله يعيش معه في بيته ، فصار يأخذه معه في (مشاويره) العامة ، ساعياً في كل مناسبة لفتح الحوار معه لاقناعه في فهم دينه ، ومن ذلك صحبه معه لزيارة الأب ميخائيل في الكنيسة . وقد دار حوارٌ حجاجيٌ بين الشيخ والأب ، أراده حاتم إن يكون أمام حسن حول تنصر جد الأب ميخائيل وهو الشيخ محمد منصور فصار اسمه الشيخ ميخائيل منصور ، وقد كتب أخوه كامل منصور عنه كتاباً يحكي قصة تنصره.

باغت الشيخ حاتم الأب ميخائيل بالسؤال :" هل انت حفيد الشيخ ميخائيل منصور؟" ومع محاولة التهرب من الاجابة سأل الأب " وكيف عرفت يا مولإنا؟" ،رد حاتم بذكاء " من مكتبك فهناك اهتمام واضح بكتب التبشيرية أكثر من كتب اللاهوتية ، وانت مطمئن لجهل الزائرين ...ثم هناك ...كتاب ميخائيل منصور وهناك كتاب كامل منصور".

طلب الشيخ من الأب ميخائيل إن يروي قصة تنصر جده محمد منصور ، كما يرويها صاحب الكتاب ويروي الأب حكاية جده الذي كان مميزاً بذكائه ومعرفته للعلوم الدينية ، ويقاطعه الشيخ حاتم بإن الكتاب بالغ في وصف ذكاء الشيخ ويتسائل:" هل المطلوب مثلاً لتحقيق إنتصار القصة النهائي يتجول محمد منصور الى الشيخ ميخائيل إنه لازم يكون شيخاً عالماً فاضلاً عارفاً بالله كي يأتي تنصره فوزاً ساحقاً للمسيحية " .رد ميخائيل بإن هناك اجماعاً على " علمه الاسلامي من كل سيرة كتبت عنه حتى من زملائه المسلمين " وإنه قد " حصل على اللقب (الشيخ) مما يعني إنه إمام في صلوات وخطيب ومساجد". يدحض الشيخ حاتم ما قاله ميخائيل مستنداً على ((ثلاث حاجات))-حجج- وهي إن سن محمد منصور لم يكن يتجاوز أثنين وعشرين عاماً ، وقد دفعه غروره وحماسه الى دعوة المسيحيين للاسلام محتجاً أمام أستاذه بقوله تعالى :" أدعُ الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" ويضيف الشيخ حاتم " الغرور يكسر أي علم والكسرة تحبط أي شباب افهم نفسه إنه ابو العريف ". اما الامر الثالث فإن الشيخ محمد منصور ومعلمه كان يدرك إن تلميذه " ليس ناضجاً وعالما بما يسمح له ان يدخل عالما قلقا من علم الاديان المقارن ...وفاهم إن حماسه مقلق وعلمه ليس مترسخاً ".

يكمل الأب ميخائيل قصة تنصر جده بإنه " إنضم الى الكنيسة الكاثوليكية بالقاهرة أواخر ١٨٩٤ ، وأختار إن يُدعى (ميخائيل) وهكذا تم إعماده باسم الأب والروح القدس ". ومن جديد يقاطعه الشيخ حاتم موضحاً بان "

كل هذا استغرق بحثا لسنة واحدة فقط"( ) ،مما يعني إن الشيخ محمد منصور لم يكن على وعي في الأمر أو دراية وإن تنصره لم يكن على فهم عميق.

يحاول الأب ميخائيل إظهار أهمية وخطورة تنصر جده ، وفي المقابل يعمد الشيخ حاتم الى التقليل من شإن الأمر ، وإن محمد منصور لم يكن إلا جزءاً في لعبة صراع الاديإن التي يثيرها بعض رجال الدين فيقول: إن الشيخ ميخائيل ذهب الى مقابلة " الفاتيكان بالقفطان والعمة والكاكولا ولبس الازهر سوف يجعل منه بطلاً مغواراً لإنتقاله من عالم دين إلى دين آخر وكانها ضربة موجعة في صراع ديني".ويضيف إمعاناً منه في فهم حقيقة الأمر قائلاً:" شفنا هذا الفلم كثيراً في حياتنا يا أبونا" .

واستمر الأب ميخائيل يروي بطولة جده في إختراق كل المحظورات ،والازهر تحديداً بوصفه رمز الاسلام في مصر والعالم الاسلامي ويلجأ الشيخ حاتم الى المقاطعة بقصد إرباك الأب ميخائيل و" تضييق فرصة أستكماله لمداخلته...والحيلولة دون تمكينه من إنجاز مداخلات منتظمة" . كما إنه يعمد الى الطعن في ما يرويه الأب ميخائيل الذي فسر كلام الشيخ حاتم بإنه " جارح ...لكن مفهوم في ظل جرحك الشخصي مما فعله الرجل " ،ويرد الشيخ حاتم إن الامر ليس مباراة بين الاديان . ينكر الشيخ حاتم ما يقوله القس ، وهو لا ينكر أطروحته ، لمجرد الإنكار والنفي ، بل هو يفند رأيه ليقدم رأيا أخر يعترض الرأي المقابل...

ولا يعنى الشيخ حاتم بقناعة القس بإن جده لأبيه كان مدرجاً ضمن لعبة كبيرة كان هو بطلها ، نما كان يعمد الى أقناع (حسن) بوصفه طرفاً مشاهداً ، وهو يعيش التجربة ذاتها التي عاشها الشيخ منصور سابقاً ، لهذا فهو يسعى الى إبطال إي معلومة يطرحها القس ، ويقدم في المقابل معلومة اخرى يبدو واثقاً من مدى صحتها وصدقها.(مثال)

وقد بدا الشيخ حاتم معترضاً على كل ماذكره القس ميخائيل ،أذ إنه ينفي كل ما اورده ، ليطرح رأياً بديلاً عما ينفيه ف " النفي إنكار بتعقب قولاً سبق ادعاؤه أو إثباته ، فهو دائماً فعل أرتجاعي أوثق بالرد

ولأظهار طبيعة تنصر محمد منصور يطرح الشيخ حاتم أسئلة على الأب ميخائيل وكانه يريد إن يوجه الحوار الى ما يكشف حقيقة الموضوع وجوهره الخفي بعكس ماكان يبغي الأب ميخائيل بإظهار الجانب المشرق من الحكاية والسكوت عن التفاصيل.

فيسأل الشيخ حاتم عن سر " تحول (الجد) من الكاثوليك الى الإنجيلية"( ) ،ويجيب ميخائيل الأب بان جده في بداية تنصره كان مع الطائفة الإنجيلية ثم تحول الى الكاثوليكية ولما لم يجد فيها ( التعاليم والمباديء التي تلقاها في بداية بحثه مع الطائفة الإنجيلية ) تحول من جديد الى الطائفة الاخيرة" .

علق الشيخ حاتم على كلام الأب بان ذلك دليل قاطع على ان الرجل لم يكن " مؤمنا مطمئنا" فهو ينتقل من الاسلام الى المسيحية الإنجيلية الى الكاثوليكية ثم يعود الى الإنجيلية ،وكانه يبحث " عن حرب روحية نتيجة قلقة وربما مرضه ، وليس عن سلام ناله" .

ويختم الشيخ حاتم كلامه ، ان محمد منصور ظل يرتدي الزي الازهري ويدعو للتبشير للمسيحية ويهاجم الاسلام على إنه دين نواقص " فهو عندي حُر تماما ، لكن تحويل قصته إلى سيرة البطولة مسألة شديدة القسوة".

يستغل الشيخ حاتم حواره الحجاجي مع الأب ميخائيل ،لإثبات أمور مختلفة لحسن الذي كانت المحاورة تدار على مرأى ومسمع منه والتركيز في تنبيهه إلى عدة أمور منها :

١-إن التحول من دين إلى آخر يجب إن يكون على علم ودراية في الدين المتحول منه وفي الدين المتحول له.

٢-إبراز خطورة دور رجال الدين في تهويل هذا التحول من دين الى اخر وكان الموضوع صراع ديني

٣-الإنسان حر في الاعتقاد بأي دين اذا كان يحقق له سلاما روحيا.

٤-التبشير لدين وشتم دين آخر هو جزء من لعبة الصراع التي يمارسها رجال الدين

**الخاتمة**

ومن أهم نتائج البحث هي:.

١- تنتهج الشخصية عدة استراتيجيات في خطابها الحجاجي ، فكان الاستناد على الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية ، واعتماد الوقائع التاريخية جزءاً من هذه الاستراتيجية ، إلى جانب اعتماد التحليل العقلي في تحليل الخطاب.

٢- الحوار الفكري يحمل بنية أحتجاجية بين المخاطبين ، كونه حواراً منتجاً وصحيحاً ، اما الحوار المغالطي الذي يعمد فيه احد المتحاورين الى" استغلال الضعف العاطفي" و " التلاعب بالالفاظ" و " المغالاة في الوصف".فإنه سينتهي الى تفويض مثل هذا الحوار وفشله.

٣- مراعاة المتحاور الحجاجي لظروف المخاطب وحالته النفسية يسهم في كسب ثقة الآخر ومن ثم تقبله للحوار ، وهو ماتمثل واضحاً في حوارات الشيخ حاتم

٤- تنوع واختلاف موضوعات الحوار والبنية الحجاجية في الرواية يضمر عن قدرة شخصية الشيخ حاتم وعمق وعيها الثقافي في إدارة الحوار والهدف الى تبديل وجهة نظر المتلقي.

٥- ابتعاد المتحاورين عن الدوغمائية المغلقة ورفضها ،يخلق حواراً مرناً وبناءً في نتائجه ، وليس شرطاً إن يقود الحوار الحجاجي إلى الاقناع

٦- جدلية الدين والسلطة والمجتمع ، هو ماكشفته وبعمق الحوارات الحجاجية في الرواية والتي يراد بها اتخاذ القاريء موقفاً منها .

**الهوامش**

١- نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة , الاستيعاب والممارسة , عمر بو حمرة , مجلة المعاصرة , مج٩, ٢٠١م :١١٦.
٢- م . ن :١٦٧.
٣- هل يمكن ان يكون حجاج غير بلاغي , ت : محمد العمري , مجلة علامات في النقد , ج٢٢, ١٩٩٦م : ٧٧.
٤- اللغة والحجاج , أبو بكر العزاوي , منتديات سور الازبكية , ٢٠١٠م : ٨.
٥- م . ن : نفسها.
٦- نظرية الحجاج في اللغة : ١١.
٧- م . ن :١١.
٨- في بلاغة الخطاب الاقناعي , مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية , الخطابة في القرن الاول نموذجاً, محمد العمري , الدار البيضاء , ط١ , ١٩٨٦م :١٠١.
٩- حول حوار الحجاج , أبو بكر العزاوي , الاحمدية للنشر , المغرب , د . ط , ٢٠١٠م :٩.
١٠- المعجم الفلسفي , جميل صليبا , دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م : ٤٤٦.
١١- ينظر : اللغة والحجاج : ١٥- ١٩.
١٢- الخطابة , أرسطو , ت: عبد الرحمن بدوي :٢٩.
١٣- يقصد الاعترافات التي تنتزع بالتعذيب , الخطابة , هامش : ٩٣.
١٤- ينظر : م . ن :٩٣-١٠٠.
١٥- م . ن :٢٩.
١٦- من المغالطة الى الحجاج , محمد همام, نظرية جديدة في الحوار , صحيفة المسا الالكترونية ,١١-١١-٢٠١١م.
١٧- رواية مولانا , إبراهيم عيسى , الكرمة , ط١٧.
١٨- ينظر : بلاغة الاقناع :٤٦-٥٥.
١٩- م . ن :٤٦.

٢٠- مغالطات منطقية , عبد الرحمن أبو الفتوح , ٢٠١٩م .
٢١- من المغالطة الى الحجاج .
٢٢- م . ن .
٢٣- الحوار أصوله و آدابه السلوكية , أحمد عبد الرحمن الصوبان , دار الوطن , السعودية , د . ط , ١٤١٣ه , ٨٥.
٢٤- بلاغة الخطاب الاقناعي , مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية في القرن الاول , محمد العمري , الدار البيضاء , ط ١ ,١٩٨٦م :٢١٩.
٢٥- ينظر : آداب الحوار في الاسلام , سيف الدين حسين شاهين .
٢٦- ينظر : بلاغة الاقناع : ٢١٨.
٢٧- التواصل بين الاقناع والتطويع , محمد الداحي , بحوث كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) ج١ : ٢٦٠.
٢٨ – سيكولوجية الجماهير , جوستاف لوربون , ت : هاشم صالح , دار الساقي , بيروت , ١٩٩١م :٤٥.
٢٩- م . ن :٤٥.
٣٠- رواية مولانا , إبراهيم عيسى :٤٧٢.
٣١- الرواية :٤٣٧.
٣٢- بلاغة الاقناع :٢١٨.
٣٣-الرواية :٤٧٦.
٣٤-الرواية :٤٧٤.
٣٥- الرواية :٤٧٤.
٣٦- الرواية ٤٧٧.
٣٧- الرواية :٤٧٩.
٣٨- الحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان , جدي ايمان روابحي , رسالة ماجستير ,الجزائر:٦٥.
٣٩- الرواية :٤٧٣.
٤٠- الرواية : نفسها.
٤١- الرواية :٤٧٤.
٤٢-الحجاج مفاهيمه ومجالاته , الاستراتيجيات الحجاجية في الرسائل الاندلسية ,عبد العالي فاد ,ضمن بحوث كتاب( الحجاج مفهومه ومجالاته).
٤٣- الرواية :٤٧٤.
٤٤- الخطاب الاقناعي: ٦٥.
٤٥- الرواية :٤٧٥.
٤٦- اللاوعي العربي والصحة العقلية في الذاتي والابداعي , علي زيحور , مجلة الفكر العربي المعاصر , مركز الانتماء القومي ,بيروت ,تموز – آب , ١٩٨٩م ,ع٦٦-٦٥: ١١٧.
٤٧- ينظر : دائرة الجوار ومزالق العنف , محمد العمري , أفريقيا الشرق , ٢٠٠٢م :٣٠ , عن الحجاج مفهومه ومجالاته .
٤٨- الرواية : ٤٦٨.
٤٩- ٤٧١ .
٥٠- نفسها .
٥١- نفسها .
٥٢-٤٧٢.
٥٣- ٤٧٢.
٥٤-نفسها .
٥٥- نفسها.
٥٦- نفسها .
٥٧- الحجاج مفهومه ومجالاته .ج١ : ٢٠٣.
٥٨- ينظر : م . ن : ٢٠٩